اللغـة المحكيـة في الأنـدلس

الدكتــور عدنان صالح مصطفى
مدرس بقسم اللغة العربية
جامعــة قطـــر

اللغــة المحكيـة في الأنـدلس

الدكتـور عدنـان صـالح مصطفى

يناقش الموضوع الذي نحن بصدده مسألة اللغة المحكية بين أهل الأندلس . فالباحثون الإسبان يزعمون ان اللغة الفصيحة انحصر مجالها في الدوائر الحكومية فيما يختص بإجراء المعاملات والوثائق ، وفي مجال التعليم فقط ، على اعتبار أنها لغة الدولة الرسمية ، وأن الرومانثية ، عامية القشتالية القديمة ولغة السكان الأصليين كانت مسموعة على المستوى الشعبي ، داخل المنازل وبين مختلف طبقات المجتمع في حياتهم اليومية ، وفي أثناء بيعهم وشرائهم ، وفي أماكن حِرَفهم المتنوعة ، بمعنى أنها كانت حسب تعبيرنا الحاضر اللغة المسموعة في الشارع . وهم لا يشيرون إلى العامية العربية إلاّ في حدود ضيقة ، بل إن كلامهم عند تناول هذا الموضوع يلاحظ عليه التناقض والاضطراب ، ثم إنهم يعرضون القضية عرضاً فيه شيء من التحوير .

رغبنا في هذا البحث التعرض لهذه القضية ، وسوف نحرص على تناولها بموضوعية من خلال استعراضنا للآراء ، ودراستنا للنصوص . ومن المفيد هنا ان نذكر ان الذي دعا الإسبان إلى إثارة هذا الموضوع ، ما أشـار إليه الأب اليسوعي خوان أندريس عن استخدام أهل الأندلس للغتين عاميتين : العربية والرومانثية (dos Lenguas vulgares: arabe y romance) في كتاب له بالايطالية صدر ما بين ١٧٨٢ - ١٧٨٩م ، وتـرجم إلى الإسبانيـة تحت عنوان : Origen, progresos y estado actual de toda la literatura وطبـع مـا بين ١٧٨٤ - ١٨٠٦م[١] .

فالإشارة هنا ، كما نلاحظ ، إلى عامية العربية والعامية الرومانثية ليس غير . .

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٥٣٥ ترجمة الدكتور حسين مؤنس . وانظر أيضاً :
Historia de la Literatura arabigo-espanola p. 312, Angel Gomzalez palemcia.

وقد رحب الإسبان بتلك الملاحظة واعتبروها شيئاً عظيم الأهمية . وكأنه كان يصعب عليهم أن تكون العربية لغة النطق عند أهل الأندلس ، فأرادوا استغلال تلك الملاحظة لاقناعنا بأن الرومانثية كانت هي اللغة الشائعة التي تمثل حياة الناس في شؤونهم اليومية ، وأن العربية انحصرت في مجال التدريس وفي الدوائر الرسمية فقط .

والذي يدهشنا حقاً ، أنهم درسوا الموشحات والأزجال ، وقالوا إنها صيغت بعامية العربية التي تشيع فيها المفردات الأعجمية والتي تصور حياة الشعب الأندلسي الأكثر ابتذالاً .

وهم مع ذلك لا يقرون أن لغة الأزجال هي اللغة المحكية ، وإنما يأخذون من الموشحات ومن الأزجال الألفاظ الأعجمية ليؤكدوا ان اللغة المنطوقة هي الرومانثية .

يعتبر الأستاذ خوليان ريبيرا (١٨٥٨ ـ ١٩٣٤م) أول من أذاع تلك الآراء ونشرها في عدد من بحوثه . وكان يعتمد في دراسته على الخرجات الرومانثية وعلى الصيغ والمفردات والأعجمية التي ترد في نماذج الموشحات والأزجال ويستند إليها في تأكيد وجهة نظره . كذلك كان يتطرق إلى ذكر بعض العادات والتقاليد الغربية ، وإلى ذكر القضاة الذين أُثر عنهم أنهم كانوا يستخدمون الرومانثية عند الحاجة . وهو يربط ذلك كله بموضوع حديثه عن شيوع الرومانثية حتى يجعل نظريته أقرب إلى المنطق .

وقد لقيت كتابات ريبيرا حفاوة بالغة من قبل المتخصصين الإسبان ، فاعتمدوها في دراساتهم ، واجتهدوا في إيجاد التعليلات التي تؤكد صحتها ، وكان من أبرزهم الأستاذ أنخل غونثالث بالنثيا ، ومن جملة ما قاله في بحوثه : « أصبح من الواضح نتيجة للأبحاث التي قام بها الأستاذ خوليان ريبيرا ، أن أهل الأندلس الإسلامي كانوا يستعملون العربية الفصيحة كلغة رسمية يتعلمها الناس في المدارس ويكتبون بها الوثائق وما إليها ، أما في شؤونهم . اليومية وأحاديثهم فيما بين بعضهم وبعض ، فكانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة أو العجمية EL

ROMANCE ، وليس ذلك بغريب ، لأننا إذا ذكرنا أن عدد العرب الخلّص الذين دخلوا الجزيرة كان قليلاً جداً ، تبيّنا أننا لا نستطيع اعتبار الأندلسيين المسلمين ساميين أو مشارقة ، ابتداءاً من جيلهم الثالث أو الرابع من بعد الفتح »[١] .

ومن الآراء التي طرحها بعضهم أيضاً أنه : « يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الحضارة الإسلامية في الأندلس ، وإن دُوّنت باللغة العربية ، فإنّ المؤلفين جميعاً كانوا يتحدثون الرومانثية »[٢] .

وفي الموضوع ذاته يقول أحد الأساتذة الألمان : « باستطاعتنا اعتبار الحضارة الإسلامية لإسبانيا ، حضارة عربية ، ليس بسبب الدور الهام الذي لعبته سياسة التسامح التي اتبعها العرب في جزيرة إيبيريا ، وإنّما بسبب أهمية اللغة العربية نفسها باعتبارها لغة القرآن الكريم . تلك اللغة لم تستخدم فقط في مجال التثقيف الديني ، وفي مجال العلوم عامة ، بل كانت مستخدمة في إجراء الشؤون العامة وفي الأسواق . على أنها لم تكن اللغة الوحيدة . فقد احتفظ الإسبان بلهجتهم العامية الرومانثية ، التي تتم بها محاوراتهم ومخاطباتهم الشفهية . . . وكان هناك أيضاً عدد من المسلمين الإسبان لا يعرفون من العربية إلّا ما يمكّنهم من إقامة صلواتهم . . وقد سادت أيضاً المجتمع الأندلسي لهجة عامية شبيهة باللهجة المغربية »[٣] .

ومن الأساتذة العرب من شاطر الإسبان رأيهم ، وتقبل وجهة نظرهم . وكنا تمنّينا لو أنهم اعتنوا بالموضوع عناية أكثر لِمَا له من أهمية . فقد كتب الدكتور إحسان عباس : « أما اللغة المحكية فقد ظلّت مزدوجة إلى عهد طويل ، وكان الناس في قرطبة يتكلمون اللغة اللاتينية في أحد أشكالها الرومانية إلى جانب العربية .

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٤٢ .

(٢) Introduccion a la historia de Espana, Barcelona, 1972, Antonio ubieto p. 115.

(٣) انظر : La civilizacion hispano arabe, p. 97.

والعرب يطلقون على اللغة السائدة في الأندلس اسم « الأعجمية » ، ومنها ثلاث لهجات كبرى وهي الأرغونية والبلنسية والقشتالية ، كما كانت اللهجة البشقية لغة الأكثرية من أهالي بنبلونة والمنطقة الجبلية من حولها . ولم تقض العربية على هذه اللهجات ، بل ظلت هي الغالبة في بعض الأرياف والبوادي[1] .

وقال الدكتور حسين مؤنس في معرض حديثه عن عرب الأندلس : « وبديهي أن أولئك جميعاً لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثالث ، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد ، اختلطت بها لغة العرب ونشأت عن ذلك عجمية أهل الأندلس ، أو « اللطينية » كما يسميها ابن حزم ، وقد بلغ من غلبة هذه العجمية أن ابن حزم يذكر جماعة من العرب بالذات فيقول : دار بلي بشمال قرطبة ، وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم لا يحسنون الكلام باللاتينية ، نساؤهم ورجالهم . . . ممّا يفهم منه أن كلام عرب الأندلس باللطينية كان أمراً عاماً شذّت عنه هذه القبيلة . وبطبيعة الحال لم يكن لسان عرب الأندلس قد استعجم بعد في فترة الولاة ، ولكن العملية كانت قد بدأت على أي حال »[2] .

والموضوع في الحقيقة ، يحتاج إلى عناية أكثر ، والدراسة المتأنية قد تأتي بنتائج وفوائد ذات قيمة عالية ، خاصة إذا كانت تلك النتائج أقرب إلى الواقع والمنطق .

والذي نحب أن نشير إليه ، أن الباحثين الإسبان ومن جاراهم من العرب ، حين يعرضون لموضوع اللغة المحكية ، ينظرون إلى قلّة العرب الخلّص الذين دخلوا إبّان الفتح والذين دخلوا بعده في الطوالع المعروفة ، وعلى أساس ذلك يبنون وجهة نظرهم في حتمية شيوع الرومانثية .

والحقيقة أن عدد العرب الذين دخلوا الأندلس يفوق كل حسبة قدّرها الدارسون . وكنت أجريت في بحث آخر إحصاءاً مفصّلاً يبيّن عدد العرب الذين

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .

(٢) فجر الأندلس ، الدكتور حسين مؤنس ، ص ٣٧٦ .

دخلوا في مرحلة مبكرة ، وسوف أسوقه هنا لأهميته ، ولأنه يشكل محوراً أساسياً من المحاور التي يقوم عليها هذا الموضوع .

جاء في « البيان المغرب » ، ان المسلمين الذين عبروا المضيق بقيادة طارق بن زياد ، كانوا من العرب والبربر ، وأنهم بنوا في جبل طارق سوراً على أنفسهم يسمى سور العرب[١] . فالذي نستنتجه هنا أن تسمية السور توحي بأن عدد العرب الداخلين مع طارق يزيد كثيراً عن العدد الذي يحدده بعض المؤرخين .

ثم كانت طالعة موسى بن نصير في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، وكانت تضم ثمانية عشر ألفاً أو أكثر من وجوه العرب[٢] .

وفي شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين قدم الحر بن عبد الرحمن الثقفي والياً على الأندلس ومعه أربعمائة رجل من العرب[٣] .

وكانت طالعة بلج بن بشر القشيري الذي دخل الأندلس في شهر ذي القعدة سنة ١٢٣هـ ، وكانت تضم عشرة آلاف من عرب الشام[٤] .

وفي شهر رجب سنة ١٢٥هـ ، قدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي والياً على الأندلس من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقيا ، ولكن المصادر لا تذكر عدد الرجال الذين أتوا[٥] .

وقد وفد إلى قرطبة أيضاً سنة ١٤٠هـ ، رجال من المشرق ومن بني أمية فأنزلهم الأمير عبد الرحمن الداخل وأكرمهم وأحسن جوائزهم[٦] .

---

(١) البيان المغرب ، لابن عذارى المراكشي ، ٢/٩ .

(٢) نفح الطيب ، ١/٢٦٩ . البيان المغرب ، ٢/٥٢ .

(٣) نفح الطيب ، ٣/١٤ . البيان المغرب ، ٢/١ .

(٤) نفح الطيب ، ٣/٢٠ . البيان المغرب ، ٢/٣١ .

(٥) نفح الطيب ، ٣/٢٢ . البيان المغرب ، ٢/٣٣ .

(٦) البيان المغرب ، ٢/٤٩ .

ويوجد نصّ هام يؤكد كثرة الداخلين من العرب ، فقد جاء في البيان المغرب : أن أمية وقطناً ابني عبد الملك بن قطن حشدا في جهة سرقسطة وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها ، وجاءا إلى بلج طالبين بثأرهما ، وهما في نيّف على مائة ألف من العرب القدماء والحدث ، فخرج إليهما بلج ، وهو في أقل من خمس عددهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً[1] .

والحقيقة أن من الخطأ أن نظن أن عدد العرب الداخلين إلى الأندلس اقتصر فقط على الطوالع ، بل إن الهجرة من المشرق إلى الأندلس ظلت متواصلة دون انقطاع لفترة طويلة من الزمن ، فلقد دخلت منهم أعداد كبيرة تفوق كل إحصاء . وفي ذلك يقول المقري : « اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم فضلا عن غيرهم »[2] .

والمقري نفسه يقول في موضع آخر : « واعلم أنه لمّا استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس وتتام فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها ، فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان »[3] .

ومن الغريب حقاً ألاّ يفطن الباحثون الإسبان إلى وجود الحشود الهائلة من البربر المغاربة ، ولأهمية الدور الذي سيلعبونه في تدعيم شأن اللغة العربية . فكما أسلفنا إن الإسبان حين يتحدثون عن اللغة العربية ينصرفون إلى تأكيد قلّة العنصر العربي ، دون الاشارة إلى أهمية العنصر البربري في هذا الأمر ، ونحن وإن كنّا لا نريد المبالغة في أن البربر الذين دخلوا بقيادة طارق بن زياد كانوا يتقنون العربية ، نؤكد أنهم كانوا قد بدأوا تعلمها حتى أصبحوا فيما بعد ينافسون عرب المشرق في البلاغة وقرض الشعر . وتم لهم ذلك قبل انتهاء عصر الولاة ، حتى إذا

---

(١) البيان المغرب ، ٢/٣٣ . نفح الطيب ، ٣/٢١ .

(٢) نفح الطيب ، ٣/٥ .

(٣) نفح الطيب ، ١/٢٩٠ ـ ٢٩٨ .

جاء عصر الإمارة ، وبدأ عبد الرحمن الداخل تأسيس الدولة الجديدة ونشر الأمن والاستقرار ، وغرس أول بذور الحضارة الأندلسية ، كان البربر إلى جانب العرب يدعمون وجود اللغة العربية في البلاد لتصبح لغة الحضارة والتقدم والتمدن في تلك العصور .

« ولا شك أن اللغة العربية أيضاً قد انتشرت تدريجياً بين البربر مع انتشار الإسلام بينهم ، وذلك لكي يتمكنوا من قراءة القرآن وتأدية الصلاة وفهم تعاليم الإسلام . فالبربر إذن قد تعربوا ، واكتسبوا ما تفيده تلك اللغة من تفكير وتعبير ، فصارت لهم نفس العقلية العربية ، وصار يوجد فيهم الفقهاء والشعراء والخطباء ، والمذاهب السياسية والدينية المعروفة في الدولة الإسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة . كذلك صارت حياتهم ومعاملاتهم قائمة على أساس الشريعة الإسلامية .

وهكذا نجد أن الفتح العربي للمغرب قد مس صميم الحياة المغربية ونقلها من حال إلى حال ، فهو يختلف تمام الاختلاف عن الفتوحات السابقة له . فقد سبق للفينيقيين والرومان والبيزنطيين ان فتحوا بلاد المغرب وسيطروا عليها مئات السنين ، ولكنهم لم يحولوا المغرب إلى إقليم روماني أو بيزنطي ، بل ظلّوا مجرد جيوش احتلال فقط . أمّا الفتح العربي فإنه كان أقوى تأثيراً ، وأعمق أثراً من تلك الفتوحات السابقة ، إذ نشأ عنه انتشار دين جديد ، ولغة جديدة ، وثقافة جديدة ، فاندمج المغرب في جسم الدولة الإسلامية ، وصار له طابعه العربي الإسلامي المعروف به حتى اليوم »[1] .

والذي يؤيد قولنا إن البربر كانوا يتكلمون العربية إلى جانب البربرية ، ان : « ابن صاحب الصلاة يشير إلى الخطب التي ألقاها الشيخ الموحدي أبو محمد عبد الواحد بن عمر في الجنود باللسان العربي تارة وباللسان الغربي تارة أخرى يحرضّهم على قتال النصارى . ويشير ابن الخطيب إلى شاعر المرينيين أبي فارس

---

(١) في التاريخ العباسي والأندلسي ، د. أحمد مختار العبادي ، ص ٢٥٧ .

عزوز (ت ٦٩٧) الذي خلط المعرّب باللسان الزناتي في مخاطبته ، كذلك يشير المؤرخون إلى الكتب العديدة التي ألفها المهدي بن تومرت بالعربية والبربرية ، لافهام الناس تعاليمه ومذهبه ، مثل كتب الامامة والقواعد والتوحيد »[١] .

فالناطقون بالعربية إذن ، كانوا منذ افتتاح الأندلس يشكلون الغالبية العظمى من السكان . والباحثون الذين اقتصروا في تقييمهم للموضوع على العنصر العربي دون العنصر البربري قد أخطأواالحكم .

ونستطيع أن نؤكد أن سكان المغرب قد شرعوا في تعلم اللغة العربية ابتداءً من سنة ٥٠ للهجرة ، وهي الفترة التي أسس خلالها عقبة بن نافع مدينة القيروان . وقد استطاع هذا القائد ان يغزو المغرب من أدناه إلى أقصاه حتى بلغ المحيط الأطلسي . وعندما عيَّن الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير والياً على المغرب سنة ٨٦هـ ، عمل موسى على اصطناع البربر وأشركهم في جيوشه على نطاق واسع ، كما عهد إلى فقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الإسلام[٢] . ولكي يتم لهم ذلك ، كان لا بد للبربر من المبادرة إلى تعلم العربية باعتبارها لغة القرآن . وهكذا عندما قرر موسى بن نصير افتتاح الأندلس فيما بين ٩١ ـ ٩٢هـ = (٧١٠ ـ ٧١١م) ، لم يجد بأساً من تعيين طارق بن زياد قائداً للجيوش الإسلامية وقد خطب طارق في المسلمين بعد نزوله بجبل الفتح ، وكانت تلك الخطبة باللغة العربية وهذا يؤكد ان سكان المغرب تمكنوا من العربية خلال الفترة التي تمتد ما بين سنة ٥٠هـ حيث تأسست مدينة القيروان وسنة ٩٢هـ وهي السنة التي عبر فيها طارق المضيق الذي عُرف باسمه ونعتقد ان تلك الفترة كانت كافية لكي يتعلم البربر اللغة العربية ، أو أنهم ، على أقل تقدير ، أصبحوا يتمكنون من التفاهم بها مع إخوانهم من عرب المشرق .

أما ما يدّعيه المؤرخ سانتش ألبرنس من إنه : « قد وصلت إلى إسبانيا جماعات

---

(١) في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص ٢٧٤ .

(٢) في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص ٢٥٥ .

بشرية كثيرة حديثة العهد يدخلون الإسلام ، ولم تكن قد تعربت بعد »[1] فهو باطل ، وإن لقي هذا الإدعاء تأييداً من قبل الباحثين الإسبان . فالسرعة المذهلة التي انطلقت بها حركة الاستعراب بين نصارى الأندلس ، كانت ولا تزال تدهش المؤرخين .

وبعد ان تهيأ الأمن والاستقرار للأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل ، أخذ المسلمون في الاختلاط بسكان البلاد الأصليين الذين أقبلوا بسرعة مدهشة على اعتناق الدين الإسلامي ، وتهافتوا على تعلّم اللغة العربية ، بل إن إقبالهم على تعلم العربية كان يسبق أحياناً تحولهم إلى الإسلام . وفي هذا يقول الدكتور حسين مؤنس : « ويبدو ان الاستعراب كان يسبق الإسلام في معظم الحالات ، فقد اختلط العجم بالمسلمين وأخذوا لغتهم وأسلوبهم في الحياة ، ثم كان يسلم منهم من يسلم شيئاً فشيئاً ، بل كان بعض أولئك العجم ما يكادون يسلمون حتى يظهروا تفوقاً في العربية ، بل منهم من تفوّق في الفقه ، فقد جاء في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي في ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، من أهل إشبيلية إنه كان من مسالمة الذمّة ، فملأ إشبيلية علماً وبلاغة ولساناً ، حتى شرفت به العرب »[2] .

ونحن لا نوافق الذين يعتقدون ان العرب الداخلين جميعاً لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني ، لأن الفترة التي يعنونها لم يشهد التاريخ الإسباني أحفل منها بمواقف الاحتجاج والاستنكار التي كانت لرجال الكنيسة بسبب انصراف النصارى إلى اللغة العربية وإهمالهم لغة دينهم .

أما الأسباب التي تهيأت لدفع سكان البلاد الأصليين إلى التهافت على اللغة العربية ، والثقافة العربية ، فتبدو لنا على النحو الآتي :

١ ـ الأسلوب البياني المشرق الذي تميزت به كتابات العرب .

---

(١) انظر : C. Sanchez Albornos, Espona, un enigma historico, I. p. 189.

(٢) فجر الأندلس ، د. حسين مؤنس ، ص ٤٢٨ .
وانظر أيضاً ابن الفرضي ، علماء الأندلس ، ترجمة رقم ٦٤٧ .

٢ ـ ركاكة الأسلوب الأدبي الذي تميزت به لغة الأناجيل ، وكذلك ركاكة الشروط التي وضعها رجال الكنيسة .

٣ ـ تحول عدد كبير من نصارى الأندلس إلى الدين الإسلامي ، وكان ذلك دافعاً لتعلمهم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم .

٤ ـ المستعربون ، وهم النصارى الذين حافظوا على دياناتهم ، لم يجدوا شيئاً يستحق الاهتمام من بين المؤلفات التي كان يكتبها رجال الكنيسة ، وكانت تقتصر فقط على شرح الأناشيد الدينية .

٥ ـ سياسة التسامح التي سار عليها العرب في تعاملهم مع النصارى ، حبّبت إليهم لغة العرب وعاداتهم وآدابهم ، فسارعوا إلى احتضانها بشغف .

٦ ـ الثقافة العربية كانت تمثل حضارة متعددة الأوجه هيأت للإسبان الظروف المناسبة للرقي والتمدن ، ووافقت طموحاتهم .

وقد قال أحد الباحثين الاسبان المحدثين : « في الوقت الذي ظفرت فيه الثقافة الإسلامية باهتمام كبير ، بما تميزت به من رشاقة الأسلوب وجمال العبارة ، ثم الأسلوب البياني المعجز للقرآن الكريم ، فإن المسيحية كانت تعاني وبشكل مأساوي من ركاكة الاسلوب الذي حُرّرت به نصوص الكتاب المقدس »[١] .

فاللغة التي حُرّرت بها صفحات الإنجيل ، كانت كما نلاحظ هدفاً للنقد من قبل عدد من الآباء المسيحيين في فترات متفاوتة ، وإن كان بعضهم قد حاول إيجاد العذر الملائم لذلك . فقد كتب القديس سان خيرونيمو (Sin Geronimo) ٣٤٠ ـ ٤٢٠م ، رسالة بعثها إلى أخت له من الراهبات يذكرها بسابق عهده في الإيمان ، بعد تخليه عن ذلك . جاء في الرسالة : لو قُدّر لي ان أعود إلى سابق عهدي في الإيمان ، وحاولت ان أقرأ في فصول الإنجيل ، لولّدت صياغته في نفسي شعوراً بالاشمئزاز[٢] .

---

1. Entre monjes y musulmanes, p. 90, Vicente Cantarino.

2. Entre monjes y musulmanes, p. 91.

هذا الشعور نجده أيضاً عند القديس سان أغوستين San Agostin ٣٥٤ ـ ٤٣٠م الذي كان واحداً من الآباء الكنسيين الذين اشتهروا بسعة علمهم وغزارة ثقافتهم ، فقد قال : « إن لغة الإنجيل وإن كانت ساذجة تستهوي الصغار ، إلا أن معانيها عظيمة »[١] .

وقد برّر القديس سان إيسيدرو (San Isidro) ٥٦٠ ـ ٦٣٦م ، بساطة اللغة في الإنجيل ، قائلا : « إن الكتب المقدسة كتبت بأسلوب بسيط ، لكي تتجه الإنسانية نحو الإيمان ، وليس عن طريق الاهتمام بالاساليب البلاغية وأناقة التعبير ، بل عن طريق الكشف الروحي »[٢] .

هكذا نلاحظ ان سبب عزوف الشبان النصارى عن لغتهم الأم ، واندفاعهم نحو اللغة العربية ، كان نتيجة حتمية لافتقار المجتمع المسيحي آنذاك لكل ألوان الثقافة التي تهمّ الإنسان في مجتمع يريد ان يتحضر . لقد سئم النصارى تلك الأناشيد الدينية ، والشروح اللاتينية للأناجيل . وكانوا يتعطشون إلى حياة أخرى تختلف في مضمونها عن تلك التي عهدوها في ظل الكنيسة . وقد تم لهم ذلك بدخول المسلمين الذين بهروا سكان البلاد الأصليين بسياسة التسامح وروح العدالة التي بسطوها في تلك البلاد . ولم يتأخر الإسبان في التعرف على الثقافة الوافدة في المجال الروحي ، والمجال الحضاري . وزاد من إعجابهم وافتتانهم بالثقافة العربية ، ان اسلوبها البياني الراقي كان يبعث الشغف في النفوس لتذوقها والتعلق بها . فأقبل الشبان النصارى يقتلون ظمأهم بالتشبع من مناهل الثقافة الوافدة ، وكان ذلك على حساب اللغة اللاتينية التي أخذت في الضمور شيئاً فشيئاً ، الأمر الذي جعل رجال الكنيسة يصدرون صيحات الاستنكار كما سنلاحظ فيما بعد .

فسياسة التسامح التي اتبعها المسلمون منذ دخولهم ، كانت سبباً في قبول الاسبان السلطان الجديد . ومن جهة أخرى ، فإن تعاليم الإسلام تحضّ على

---

1. Entre monjes y musulmanes, p. 91.

2. Entre monjes y musulmanes, p. 92.

العلم والعدالة والمساواة ، وهي أمور حُرم منها نصارى الأندلس في الفترة التي سبقت الفتح الاسباني على الأقل ، وكان مجتمع الجزيرة فيها يعاني من تصدع الهيكل الهش للدولة القوطية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . وكان مهيأ لقبول أي شيء ينقذه من واقعه المأساوي وليس صحيحاً ما قاله المؤرخ أمادور دي لوس ريوس (Amador de los rios) إن اسبانيا كانت متحضرة من تلقاء نفسها قبل دخول العرب ، وكانت لها ثقافتها . وإن العرب لم يستطيعوا فرض نفوذهم الثقافي إلّا بعد دخولهم بقرنين[1] .

لقد كان الاسبان يعانون من التخلف الثقافي لمجتمعهم في آخر عهد الدولة القوطية . والمعروف ان المسلمين الفاتحين كانوا يسارعون في بناء المساجد في المدن والقرى . والمسجد بالاضافة إلى كونه دار عبادة ، كان يقوم مقام المدرسة التي يتعلم فيها المسلمون قواعد اللغة وقراءة القرآن والفقه والحديث ، ولم يلبث المسجد الجامع في قرطبة ان أصبح بمثابة الجامعة التي تنبعث منها إشعاعات العلم والمعرفة . وما كاد المسلمون يوطنون دعائم الملك حتى سارعوا إلى إحضار الكتب ودواوين الشعر من جميع أنحاء المشرق ، فوجد المستعربون الإسبان أمامهم علماً زاخراً فاختلطوا بالعرب حتى كاد الشعور الديني يتلاشى عندهم . وفي هذا يقول أحد الدارسين الإسبان : « إن الشعور الديني للمستعربين راح يضمحل شيئاً فشيئاً ، نتيجة لاختلاطهم المستمر بالعرب الفاتحين . وقد أخذوا يقلدونهم في جميع مظاهر حياتهم ، في الملبس والمأكل ، وطريقة بناء الدور . وقد أهملوا لغتهم الأصلية ، وأهملوا قراءة الكتب المقدسة . وشغلوا أنفسهم في الوقت نفسه بتعلم العربية ، وامتلاك الخزائن التي تكتظ بكتب المؤلفين المسلمين .

إن مجتمع النصارى كان يعاني من ضعف شديد في المعنويات ، ومن فتور ملحوظ في الاحساس بالأرومة التي انحدروا منها والتعصب لها ، ولهذا فإن الغالبية العظمى منهم لم تشتكِ من المصير الجديد الذي ضواهم تحت لوائه . حتى أن

1. Historia critica de la literatura espanola, II, pp. 33 s. Jose Amador de los Rios.

المتعصبين من رجال الكنيسة لم يجدوا بأساً في الخضوع للمسلمين ، ما دام هؤلاء لم يكرهوهم على ترك معتقداتهم أو التخلي عن ممارسة طقوسهم الدينية »[1] .

وبعد ان تولى عبد الرحمن الداخل أمر الأندلس ١٣٨ - ١٧٢هـ (٧٥٦ - ٧٨٨م) . اجتهد في نقل الحضارة الشامية إليها . فأتيحت الفرصة لنصارى الأندلس للاطلاع على الثقافة العربية وحازت إعجابهم ، فاقبلوا ينهلون منها بشغف مفرط ، وسارعوا إلى تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة الحضارة .

وكذلك عرفت الأندلس تقدماً ملموساً في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ٢٠٦ - ٢٣٨هـ (٨٢٢ - ٨٥٢م) بفضل سياسة الانفتاح التي اتّبعها حيث كسر طوق العزلة الذي كان يفصل بين الأندلس والعراق ، وشجع على انتقال الحضارة من بغداد إلى قرطبة .

وأهم ظاهرة حضارية سجلت في ذلك العصر ، دخول رئيس المغنين أبي الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب . فقد كان رجلاً عبقرياً يتمتع باستعداد فطري منقطع النظير في مجال التجديد والابتكار . فقد أطلع أهل الأندلس على حياة حضارية مختلفة الجوانب وذاع صيته في الغناء وتأليف الألحان . ومن المحتمل ان يكون أول من حاول صياغة أغنية باللغة العامية الأندلسية التي تمتزج فيها العربية بمفردات أعجمية ، فحظي فنه وحظيت تعاليمه بإقبال شديد من قبل الناس[2] .

إن عامية العربية حتى ذلك الحين كانت تطغى على غيرها من اللغات وكان رجال الكنيسة يتوجسون خيفة من إقبال أبناء ملتهم على تعلّم اللغة العربية . « ولقد أثار إقبال المسيحيين على الثقافة العربية ، حسد القساوسة ورجال الدين الذين كانت لهم أديرة وكنائس في شتى أنحاء الأندلس . فأخذوا يعيبون على الشباب المسيحي إقباله على قراءة اللغة العربية وتركه اللغة اللاتينية لغة الكتاب المقدس وسير القديسين .

---

(١) Entre monjes y musulmanes. p. 99.

(٢) راجع كتابنا : الجديد في فن التوشيح ، ص ٣٨ .

وكان زعيم هذا الحزب المعارض المتعصب راهباً اسمه ايلوخيو (Eulogio) . كان من أسرة مستعربة ميسورة الحال ، وله أخ موظف في الدولة الأموية ، واخوة آخرون يشتغلون بالتجارة . وحاول الراهب ايلوخيو بشتى الطرق ان يحمل الشبان المسيحيين على قراءة اللغة اللاتينية فوضع لهم شعراً لا تينياً جديداً يقوم على القافية والوزن مثل الشعر العربي ، إلا ان محاولته باءت بالفشل نتيجة لاقبال الشباب المسيحي على تعلم اللغة العربية وآدابها »[١] .

إن كتابات ايلوخيو ، تعتبر اليوم من أهم المصادر التي تؤ رخ لحياة المستعربين في قرطبة ولحركة الاستشهاد في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي . وقد جاء فيها ان الشهداء المسيحيين كانوا يقرؤ ون العربية ويكتبونها . ويتكرر ذلك في أكثر من مكان في كتاباته[٢] .

وذكر الأستاذ أنخل غونثالث بالنثيا في كتابه « تاريخ الحضارة العربية الاسبانية » في الفصل الذي كتبه تحت عنوان : (الحضارة العربية لغير المسلمين) ان المستعربين لم يمارسوا شعائر الدين الإسلامي ، ولكنهم كانوا قد صهروا أنفسهم تماماً بالثقافة العربية وأضحت لغتها لساناً لهم في حياتهم اليومية[٣] .

ويقول بالنثيا أيضاً : « كان الانتاج الأدبي للمستعربين ضئيلاً سواء باللاتينية أو بالعربية ، وقد تأثرت حياتهم الاجتماعية بالإسلام ونظمه تأثراً بعيداً ، ومن مصاديق ذلك تلك الحقيقة التي يعرفها كل الناس ، وهي أنهم كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب وأسمائهم وأزيائهم ، ويجتهدون في ان يأخذوا الطابع الإسلامي في كل مناحي الحياة »[٤] .

ويقول أيضاً : « فقد ظلوا يستعملون هذه اللغة زمناً طويلاً بعد زوال سلطان

---

(١) في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص ٣٥٥ .

(٢) Entre monjes y musulmanes, p. 104.

(٣) Hisoria de la Literatura Arabigo - Espanola, p. 295.

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٨٥ .

الإسلام من الجزيرة ، وظلوا يكتبون بلغة العرب وقائعهم ويتسمون بأسماء عربية حتى أوائل القرن الرابع عشر »[1] .

« ولا يجهل أحد حسرات ألبرو القرطبي ، فقد طالما ردّدها المؤلفون ، وهي تتحدث في جلاء عن ولع نصارى الاسبان بالأدب العربي ، فهو يقول : إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردّوا عليها وينقضوها ، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك اسلوبا عربياً جميلاً صحيحاً . وأين تجد الآن واحداً ـ من غير رجال الدين ـ يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة ؟ ومَنْ ـ سوى رجال الدين ـ يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الانبياء والرسل ؟ يا للحسرة ! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلاّ لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم . وهم ينفقون أموالاً طائلة في جميع كتبها ، ويصرّحون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالإعجاب . فإذا حدّثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم . يا للألم لقد أنسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع ان يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ . فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدونها في اسلوب منمق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً »[2] .

والباحثون الاسبان يعتبرون صيحات ألبرو القرطبي وغيره من رجال الدين ، ضرباً من المبالغة ، فلا يجوز ان نستنتج منها ما يمكن ان نتصوره من طغيان العربية على اللغة اللاتينية بين جماهير المستعربين . ويقول احدهم في هذا الموضوع : « ان صيحات الاستنكار التي كانت تصدر عن ألبرو ، كانت بمثابة دليل واضح للتقارب الكبير بين الطوائف في مدينة قرطبة في القرن التاسع الميلادي هذا ما يمكن ان نستنتجه ؛ ذلك لأننا نرى ان المسيحيين لم يكونوا جميعاً يتكلمون

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٨٨ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٨٥ .

ويكتبون اللاتينية في ذلك القرن ولم يكن العرب جميعاً يعرفون الفصحى أيضاً . ولكن القصة بالنسبة لذلك الراهب تتمثل في مواجهة الأدب الكنسي لأدب آخر ، هو حسب نعته ، وثني . فالثاني يشكل خطراً داهماً على الأول ، وهو أمر كان يثير قلق رجال الدين »[1] .

وهكذا نلاحظ ان الاسبان لا يريدون الاقرار بوجود عامية العربية باعتبارها لغة شائعة بين الطوائف جميعا . وهم يصرّون على ان اللغة الفصحى كانت تقتصر على التعليم ، وان العجمية كانت اللغة المحكية المتعارف عليها . هذا الرأي لا يلقى قبولا عندنا . « وقد يقال ان ألبرو في هذا كان مغالياً في حماسته ، وأنه كان داعية للعودة إلى اللاتينية ولذلك فهو يفرق في الإنحاء على محبي الثقافة العربية رجاء ان يلفت الناس بقوة النذير ، وقد يقال ان هذا كله ينصب على اللغة المكتوبة . وكل هذا حق ، ولكن كيف يمكن ان تكون عملية الاستعراب بهذه القوة ، ثم تظل « عجمية الأندلس » هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كل ناحية من نواحي الحياة اليومية ؟ ذلك أمر من العسير تقبله ، وإذن فلا بدّ ان تكون لغة الحديث اليومي عربية في معظمها مشوبة بقسط من الألفاظ والتراكيب العجمية »[2] .

ومن جهة أخرى فإن صيحات الاستنكار لم تقتصر على رجال الدين من النصارى . بل ان ظاهرة إقبال الشبان اليهود على تعلم العربية والتثقف بآدابها أثار أيضاً حفيظة رجال الدين من اليهود ، وسخط علمائهم . فقد نظم ابن جبيرول قصيدة عبرية « صاغها في بحر الرجز العربي تتألف من اربعمائة بيت ، وهو يتحسر فيها على انصراف إخوانه في الدين من أهل سرقسطة عن لغتهم واهتمامهم باللغة العربية »[3] .

وقد ألف يهوذا بن داود أول نحو علمي للغة العبرية ، وضعه باللغة العربية حتى

---

(١) Entre monjes y musulmanes, p. 93.

(٢) الحركة اللغوية في الأندلس ، ص ٣٣ .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٩٤ .

يجد قبولاً عند المثقفين اليهود[1] .

ومن أجل الهدف نفسه ، فإن يهودا الجزيري بن شلومون ، الذي « أسخطه ما رأى من تفضيل أهل ملته للغة العرب على العبرية ، وحاول في كتاباته ان يثبت ان هذه الأخيرة لا تقل عن العربية ثروة وجمالاً ، فأقبل على مقامات الحريري وترجمها إلى العبرية ، وألّف قصة ذات طابع مسرحي تسمى تَحْكِمُوني قلّد بها أسلوب « المقامات » ونسج فيها على منوال « ابن سقبيل » في كتابه الفكه الذي يحمل اسماً مشابهاً لاسم قصة الحريري هذه »[2] .

وهؤلاء المفكرون جميعاً ، تلقوا علومهم وثقافتهم من مناهل الكتب العربية ، فهم يدينون بذلك إلى اللغة العربية والحضارة العربية كثيراً .

ونحن نتفق مع الاسبان في ان اللغة العربية كانت اللغة الرسمية للدولة ، إلا أنّنا لا ننكر وجود العامية العربية التي تمتزج بمفردات أعجمية تمثل ، كما نتوقع ، اللغة القشتالية والبربرية والعبرية ، مع عدم استبعادنا من استخدام تلك الطوائف للغاتهم الأم في مناسبات مختلفة أو داخل البيوت . ولكن الذي يعنينا هنا هو تلك اللغة التي يتمّ التخاطب بها بين سائر طبقات المجتمع الأندلسي ، وهي بدون أدنى شك عامية العربية ، لأن طبيعة تكوينها وتركيباتها تتفق مع الواقع الحي الذي يعيشه أهل الأندلس .

وتتجلى خصائص تلك اللغة في نماذج الموشحات والأزجال التي ليست في حقيقتها سوى تطورٍ طبيعيٍ أمينٍ وصادقٍ للأغنية الشعبية التي بدأت تروج في الأندلس بعد حلول زرياب بها . ولغة تلك الأغاني « ليست لغة الشعر المعروفة التي كان المؤدبون يلقنونها للدارسين ، بل الدارجة التي كانت جارية على الألسن في قرطبة ، بما فيها من دعابات سوقية وعبارات مبتذلة وألفاظ مواخير وعبارات الطلاب التي يستعملونها في منازلهم وألفاظ الصبيان إذ يلعبون في الطريق وفي

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٨٩ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٥٠١ .

الكثير من العبارات الاصطلاحية التي يتعارف عليها أهل كل حرفة ، ولا تخلو كذلك من ذلك اللغو الفارغ الذي تحفل به أحاديث البيوت »[1] .

وإذا كنّا لا نختلف في كون الخرجة صورة صحيحة وأكيدة للأغنية الشعبية ، ولنوعية اللهجة المحكية ، وإذا كانت لغة الخرجات في الموشحات كما يقول ابن سناء الملك من الفاظ العامة ولغات الدامة ، وثرثرة الصبيان والنسوان والسكرى والسكران ، وهؤلاء لا يمثلون الطبقة الخاصة التي تثقف لسانها باللغة الفصحى ، فإنه يمكننا أن نسلّم بكل اطمئنان بوجود عامية العربية التي تطغى على غيرها من اللهجات الأخرى ، الرومانثية أو العبرية أو البربرية ، وكذلك اللغة الباسكية والبرتغالية ، تلك اللغات التي لم تستطع إثبات وجودها على الساحة العامة ، ولم تقو على مزاحمة العامية العربية .

وكل ما حصل ان انصهار طوائف المجتمع الأندلسي في كتلة بشرية موحدة ، نتج عنه ولوج كثير من الصيغ الأعجمية في تلك العامية العربية . فغدت لهجة محلية ذات سمات وخصائص تتميز بها عن غيرها من اللهجات ، حتى أن الأندلسي كان يُعرف من خلال نطقه بانتمائه إلى ذلك الصقع النائي . وترد في الكتب ملاحظات كثيرة تؤكد ذلك . ولا بأس من أن نقدم بعض النماذج من الأزجال وخرجات الموشحات ، فهي تعطينا صورة أمينة للغة العامية المحكية . فمن أزجال ابن قزمان :[2] .

النّـاس في ادَام وَخُـبّـز يـابِس
انْ دُمْت شـوَى نسعَى ، نَقايس
النّـاس للسَميْـد وَانـا لـكسْـرَه
تَـراني عـليـهـا فَـرْخ نـسْـرَه
كَـانـي أرى بجـسـمـي حَـسْـرَه

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٦٠ .
(٢) ديوان ابن قزمان ، ص ٥١٨ .

ننجَـرْ بـالغـدُوْ ونصفِ نَـاعِسْ
اكـلتُـم لَـحـم وانَـا بَـلا شـي
نـشمّ الـشـوى ولَسّ نَـرى شي
قد صرت مـلان اي كنْت ماشي
نطلُب كَفْ نحرُف على الفلالِس
وقـطاً يجي فَـالـسَقْـف سَـايبْ
مـبلُول الـدقـم شَطّ الـشـوارب
مُقبـل بـالجـري ببضـعَ هَـارِبْ
تَـدْر انّ خَيْـر من الـقَـطَاطِس
نَـرى كـل احَدْ يعمَـل حمـاقَـة
وانـا قَـدْ بقيت بخبـزِ سـاقـةْ
مـع مَـا فيَّ انـا مِنَ الـدَّنـاقـة
فـانَا لـو رَيْت في حـربِ داحسْ
جيـدهُ نـنتـمِـي إلـى الـوزارَه
ولَسْ لـلحَـمْ عـنـدى امَـارَه
وقـومـاً يـجـونـي لـلزيَـاره
عن اخـوان بعـد وهم جَـواسيس
حـتـى فـالـمَـنَـام تَـجي إلـيَّ
أبـالس ويـسـتـخِـفـوا بـيّ
يـقـولـوا لـي تُـخُـذ شـويّ ؟
ما شَاء الله كان ، حتى الأبالِس !
اعـطيني لحمْ وخبـز مـدهـون
وارسـل فحمْ وارسـل كـانـون

فـالفُنـدق متـاعَ الـوقفِ نسكنْ
اوذَاني على الـضيـافـة جـالس

شرح المفردات :

- نقايس : جاء شرحها في الديوان ، نقايس من القياس بمعنى الاستنتاج مكسورة ياؤها للضرورة إذ هي بالأندلسية مفتوحة . وفي رأينا أنه يُقصد بها القتال ، وهو الرشق بالحجارة ، لأنها تستخدم في بلاد المغرب بهذا المعنى حتى اليوم .
- الكسرة : القطعة من الخبز .
- النسرة : أنثى النسر .
- مـلان : طائر من جوارح الأندلس كالحدأة أو البغاث .
- الحرف عندهم ، الخطف .
- الدقم : عندهم ، الفم .
- قطاطس : جمع قطوس عجمية الأصل بمعنى القط (Gato) .
- سـاقة : عندهم ، وراء .
- الدنـاقة : الشـراهة .
- داحـس : يبدو أن في البيت تورية لأن الداحس اسم لبعض العلل الجلدية كالشرث ، الشديد الأكال الذي ضرب به الاسبان مثلاً : « أكل من داحس » .

١١ ـ المدهون : عندهم ، نوع ممتاز من الدقيق .

١٢ ـ أوذاني : ها أنا ذا .

وممّا قاله ابن قزمان في أزجاله أيضاً :[١]

قلتُ ل « انظُرْ ، بالله ، ثم آش يكون »

نـظرت كـفّهـا وقـالـتْ لي بُـون[٢]
فاطش البشرْ ، نـراك بحالَ القـطُنْ[٣]
او ذا الجـاه مـوذون بـون أطّبـار[٤]
قـلت اشَ الحيلَةْ ؟ انـمـا ذا غَـلاَ
لَسْ نَـرى فـالـدُنيا لمن ذَاب مـلاَ
الاّ لـو كـان مـولانـا أبـو العَـلاَ
قـالَت « اشت كـراى او نمَّـار »[٥]
قلتَ أنـا كيف يكُـون ونبلُغ إليـه ؟
قـالَـت اهَ ادخـل وسلَّمْ عـليـه ،
انـمـا هُ حتّى تصيـر بين ايـدَيـه
واغـرف الـجـاه والعِـزّ بـالـقـنـطارْ

شـرح المفردات :

١ ـ ديوان ابن قزمان ، ص ٥٤٢ .

٢ ـ بون : معناها ، حسن .

٣ ـ فاطش البشر : وهي عجمية محرّفة ، معناها : حظوظ بيضاء .

٤ ـ معنى البيت : ها هو ذا الجاه ، سيدى ، جاهز للقائه .

٥ ـ معنى البيت : هذا هو من أردت ان أسميه .

وفي الموشحات ، نجد الخرجات العامية التي هي محاكاة للغة المحكية ، وإليك بعض النماذج :[١]

هـل في الهَـوى جنـاحُ لِـمَن تـتـمـنّـــــاه
يُـذكِـرُهـا الصبـــاحُ جـمـيـــــل مُـحيّـاه

(١) انظر الجديد في فن التوشيح ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

فـأنـشـــــدتْ تُـراحُ بـالـشَّـجـوِ لـذكـراه
يـا مـطر مي الـرحيمة إراى دي مـنـيـانـه
بـون أبـو الـحـجـاج لـفـاج ذى مـطرانـه

وترجمتها :

يا أمي الرحيمة ..... الرحيمة Madre
سأذهب صباحاً ..... Ire de manana
مع أبي الحجاج ..... أبي الحجاج Com
صاحب الوجه الوضاء ..... La faz de

ومن النماذج أيضاً :

الـقـاكَ عـن عُـفْـرِ فـلا أنـاجـيـكـا إلّا اشـتـيـاق
والـلّهِ مـا أدرى قـد التـوَى فيـكـا أمـرى وضـاق
أشـدو مـا عُـذرى إلّا أقـاضـيـكـا إلى الـعـنـاق
يـاربّ مـا اصبَـرني نـرى حبيب قلبي ونعشَـــــقُو
لـو كان يكـون سُنَّة فـيـمـن لـقـي خِـلّو يُعَنْقُـــــو

وفي هذا الموضوع يقول الدكتور عبد العزيز الأهواني : « لاحظنا في قراءة مخطوط ابن بشرى أن بعض الخرجات تمتاز بنوع من البساطة حتى لتشبه أن تكون حديثاً عادياً يومياً » .(١)

وقد قدّم الأهواني مجموعة من الخرجات يستشهد بها على ما يبديه من ملاحظات ، منها الخرجة التي جاءت في موشحة لأبي بكر الصيرفي ، وهي :(٢)

ألبســـــوا جسمَـــه اليقَقْ
بنســـــيج من الغسَـــقْ

---

(١) الزجل في الأندلس ، ص ٧ .
(٢) انظر الزجل في الأندلس ، ص ٨ ـ ١٣ .

تحت حمـــــرةِ الشـــفقِّ
فشـــــدا صبُّـــه قلـــقِّ
سيـدى صَحْبَ النفسجِ ج لعمَّـك حبيبي جِى

وموشح آخر لمؤلف مجهول ، يقول :

ومني بميعـــــــــاده
على غير معتـــــــاده
فأغـــرى بإنشـــــاده
لِسْ نَقْـدَر نـراك اليـومْ مُـرْ ارجَـعْ لغيـر اليـوم

ومن الأمثلة أيضاً ، هذه الخرجة :

لم تـزل تُـظهـر فيـه الكُلَفـا عـنـدمـا غـنـتْ
غـادةٌ لـو رام منهـا النَّصفـا غـيـرُه ضـنّـتْ
فهـو يهـواهـا ويُبـدى الصَّلفـا فـلذا غـنّـتْ
يَـتـمـنّـانـي إذا لـم يـرنـى يتمنّـــــــاني
فـإذا رَانـي تـولّى مُـعـرضـا كَـنُّ مـا رانـي

وفي حديث الأهواني عن صدى البيئة في الخرجات ، يقول : « وملاحظة ثانية نراها من قراءة الخرجات العامية في الموشحات هي أنها تشتمل أحياناً على موضوعات إقليمية خاصة تتميز بها الحياة الأندلسية . ومن هذا النوع بعض الخرجات تقال على لسان امرأة ذهب حبيبها إلى الغزو والجهاد ، وتلك ظاهرة شائعة في الحياة الأندلسية أكثر من غيرها ونضرب لذلك مثلاً موشحة لأبي بكر بن بقي :[1]

(١) الزجل في الأندلس ، ص ١٢ .

أفـدي فـتـاةً لـعـــوب بـاحـت شكـواهـا
وقـد دعـتـه الـحـــروبْ يـومـاً فـلبَّـاهـا
قـالـت وطـولُ المـغيـــبْ قـد هـاج بـلواهـا
إلـفِي مـضى لـلجـهـــادْ وغـاب في الثـغْـرِ
تـراه يـنـسـى الـــوداد أو شـاقـه ذِكـرى

وهكذا نلاحظ أن الخرجات محاكاة حقيقية للحياة الأندلسية ، فيما يتعلق باللغة المحكية ، وفي كثير من القضايا الاجتماعية .

ولو عدنا ثانية للبحث عن الدافع الذي جعل الإسبان يصرّون على الاعتقاد بشيوع الرومانثية بدلاً من عامية العربية لتبين أنه بعدما عُثر على عدد من الموشحات خرجاتها رومانثية ، ادّعوا ان تلك الخرجات المتعددة إنّما هي تأكيد قوى يدعم مزاعمهم . . ومن أمثلة تلك الخرجات العجمية :(١)

مو سيدي إبراهيم يـا نـوامن دلـج فـانـت مـيـب ذي نخـت
ان سي نو كيارس إيـريـمـي أتـيـب يِـغَـرمـي أوب يِغَـــرت

وترجمتها هكـذا :

يا سيدى إبراهيم ..... Mio, sidi Ibrahim
يا صاحب الاسم العذب ..... Mombre dulce
أقبل إليّ ..... Vem a mi
ليلاً ..... de moche
وإذا كنت لا تريد ..... y si no quieres
سأذهب أنا إليك ..... Ireme a ti
أصل إليك ..... llegarme
أو تصل إليّ ..... O llegarte

(١) الجديد في فن التوشيح ، ص ١٧٨ .

وخرجة أخرى :

وخَـوْدٍ جَـنـتْ سُـقْـمـي
بـصـوتٍ بَـرَى جسـمـي
تُـغـنّـيـــــه لـــلام
كـه تَـال مـي ألـمـا كـه كـيـارى مـي ألـمـا

ترجمتهـــا :

كيف حالك يا روحي ..... Que tal mi alma

ماذا تبغين يا روحي ..... Que Quiere mi alma

ولكن هل وجود ذلك العدد من الخرجات الرومانثية يجعل شيوع تلك اللغة أمراً ثابتاً . . ؟ إننا نستبعد ذلك ونستغرب له لأسباب :

١ ـ لو جعلنا الكمّ مقياساً على صحة الحكم ، لوجدنا الخرجات التي تمثّل عامية العربية تفوق الخرجات الرومانثية ، وبدون مبالغة آلاف الأضعاف .

٢ ـ إن الخرجة ليست في الأصل ، كما يزعم البعض ، جزءاً من أغنية عجمية ، وإنما هي تجسيد للأغنية الشعبية التي صيغت من مفردات عربية إلى جانب مفردات عجمية من اللغة اللاتينية أو العبرية أو البربرية . وكان ذلك كما نعتقد في الفترة التي دخل فيها زرياب إلى الأندلس .

٣ ـ إن الخرجة الواحدة أتت باللغة العربية مرّة ، وهيّ نفسها وردت في موشح آخر بالرومانثية ، وجاءت مرة ثالثة بالعبرية . وهو أمر جعل الباحثين الاسبان يعتقدون في الأصل العجمي للموشحات . ولكنّا حين أخضعنا تلك الخرجات للفحص الدقيق تبيّن لنا ان الخرجات العجمية ما هي إلّا ترجمة للخرجة العربية أو ترجمة لبيت من الشعر العربي الذي قيل في الأندلس .[1]

وما نُحب ان نُنَبّه إليه أيضاً ، ان اللغة العامية لم يقتصر أمرها على الموشحات

---

(١) انظر الجديد في فن التوشيح ، ص ١٧٨ .

والأزجال فقط ، بل إننا نجد ما يُسمّى بالقصائد الزجلية التي أشار إليها صفي الدين الحلي في كتابه « العاطل الحالي » قال : « وأول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد مقصدة ، وأبياتاً مجرّدة في أبحر عروض العرب ، بقافية واحدة ، كالقريض ، لا يغايره بغير اللحن واللفظ العاميّ وسموها القصائد الزجلية . . »[1] .

ومن ذلك قصيدة للشيخ أبي عبد الله مدغليس ، وهي في بحر المديد :

مضَى عنِّي منْ نحِبُّو وودَّعْ ... ولهيبَ الشوقْ في قلبي قدَ أُودعْ
لو رايت كَف كُنْ نِشياعُوا بالعِينْ ... ومَ نذْرى أن روحي نشبّعْ
من فظاعةْ ذا الصَّبَرْ كنْت نَعجبْ ... حتى رايْتْ أنّ الفراقْ متُو أفظعْ
لس نشكّ أنُّو حملْ قلبي ماعُو ... فأيش ذا فِي صدرى يضربْ ويوجعْ
لا صبر عنُّو ولا نومْ ولا عيش ... ولا محبُوب قَلْ لي لي حيلة نرجعْ
كيَّجِي المُوتْ عِندي لو جا إليّا ... ان ياقومْ لسّ لِي في العيشْ مطمعْ
سعدات هِي حتّى في العِشْق ياقومْ ... قِيس وغيلان ذِكرُهم لسْ يُسمعْ
وعلى ما اتَّ حُلُو فَمَكْ أحلَى ... وعلى ما أتَّ رفِيعْ عينك أرفعْ
تِه واتدلِّلْ واعملْ مُرادكْ ... انْت أملحْ أَهلِنِ الدُّنيا أجمعْ
وأبُو عبدِ الله ابنْ صناديد ... أفضل الدنيا وأسْيدْ وأرفعْ
يلتقِي الامداحْ بِوجهاً مسامحْ ... وملاً ياسِرْ وكفّاً لا تمنعْ

والدليل الحاسم الذي يؤكد شيوع عامية العربية ، كتب لحن العامة التي ألّفها الأندلسيون أنفسهم ، درسوا فيها تحريف العامة للغة ، والأخطاء التي وقعت منهم في أصواتها ومعانيها . ولا شك في ان لفظ « العامة » يُقصد به العامة بالمعنى الواسع[2] .

« وقد حدثتنا المصادر عن بعض خصائص هذه العامية العربية فأنبأنا ابن حزم أن

---

(١) العاطل الحالي والمرخص الغالي ، ص ١٥ .

(٢) انظر ، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ص ٣٩ وما بعدها الدكتور عبد العزيز مطر .

العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا هو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون في العنب : « العينب » ، وفي السوط « أسطوط » وفي ثلاثة دنانير : « ثَلَثّدا » . وقال غيره انهم يقولون في التين : « تَيْن » وفي النوتي : « نَوْتي » وفي القبيط : « قَبَيـد » . واختلفت هذه اللهجة العامية في منطقة أندلسية دون أخرى . فكان أهل شرق الأندلس يفتحون أول الكلمة من نحو « الحوت » و « العود » وينطقون بالتاء طاء ويلحقون آخر المصغر لاماً مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنة (وهي اداة التصغير اللاتينية) فيقولون في تصغير حوت : « حوطلّة » و « حوطلُّة » ، بل اختلفت بين المدينتين المتقاربتين أحياناً ، يقول ابن حزم : ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط ـ وهي على ليلة واحدة من قرطبة ـ كاد ان يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة . ويورد ابن حزم تعليلاً لهذا بقوله : فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله ، وفي صفحات « لحن العوام » للزبيدى ألفاظ كثيرة لا بد أنها كانت سماعية ، وكان العامة يستعملونها في الأندلس كقولهم للأمير من الروم « القمَّس » بدلاً من القومس ويجمعون الكرم على « كرمات » وفي النسبة إلى قبيلة كلب « كلبي » بكسر الكاف ، ويقولون للحظيرة تكون في الدار « حيرا » بدل « حائر » (ومنه حير الزجالي) ويقولون لموقف الدابة « صبل » بدل « اصطبل » ويقولون دفتر بكسر أوله إلى غير ذلك من ألفاظ واستعمالات » .[1]

فلو كانت الرومانثية هي اللغة الشائعة بين أهل الأندلس ، لَمَا وُجدت كتب لحن العامة . بل كان ينبغي حينذاك ان توجد كتب حول تلك اللغة نفسها ، وهذا مما لا نجد له أي أثر . .

وفي نهاية المطاف ، نريد ان يكون موقفنا أكثر وضوحاً ، فنقول إننا لا نأخذ برأي الاسبان فيما يتعلق باللغة المحكية ، ليس لأنهم يطرحون فكرة وجود لغتين ،

---

(١) انظر الحركة اللغوية في الأندلس ، البير حبيب مطلق ، ص ٤٠ .
وانظر أيضاً ، الفاظ مغربية ، الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مقال في مجلة معهد المخطوطات العربية ص ١٢٧ .

العربية والرومانثية : وإنما لأنهم يصرّون على جعل « الرومانثية » اللغة المحكية على المستوى الشعبي ، وحصر العربية في هذا المجال الضيّق ، الذي يرفضه العقل والواقع .

وما قاله خوان أندريس عن وجود لغتين في الأندلس ، لا يُعد فتحاً عظيماً ، كما اعتبره الإسبان . فالإشارة إلى هذا قديمة ، فقد جاء في كتاب « احسن التقاسيم » للمقدسي في أثناء حديثه عن أهل الأندلس : « . . . ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم ولهم لسان آخر يقارب الرومي »[1] .

إن تلك اللغة المنغلقة ليست سوى عامية العربية التي تمتزج بمفردات أعجمية واللسان الذي يقارب الرومي ، يُقصد به اللغة « اللطينية » وهي التي كان يتحدث بها النصارى قبل الفتح ، والتي سماها العرب عندما سمعوها « العجمية » .

« فالعجمية إذن هي لغة السكان الأصليين ، وتحديد طبيعتها أمر عسير فهل هذه العجمية هي نفس اللغة التي أصبحت لغة الحديث بعد دخول العرب ، يقول الدكتور حسين مؤنس : « وبديهي ان أولئك جميعاً (يعني فئات العرب) لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني ، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد ، اختلطت بها لغة العرب ونشأت عن ذلك « عجمية أهل الأندلس » أو « اللطينية » كما يسميها ابن حزم » . أمّا أن لغة العرب اختلطت بها فشيء بديهي ، وأما أن نتيجة هذا الاختلاط هو ما يسمى « عجمية أهل الأندلس » فأمر يدعو إلى التوقف ، لأننا نعلم أن عجمية الأندلس هي ما كان موجوداً قبل الاختلاط ، ولأن مثل هذا القول يجعلنا ننسى حركة « الاستعراب » القوية ، وهذه الحركة تعني أن السكان الأصليين تعلموا اللغة العربية بسرعة ، وأصبحوا قادرين على التفاهم مع السادة الجدد ، وإذن فلا بدّ أن نسبة العناصر العربية في اللغة الناشئة من هذا اللقاء كانت أكبر من نسبة العناصر غير العربية ، وإذا صح هذا التقدير كان من لقاء اللغتين لغة ثالثة هي « العامية العربية الأندلسية »

---

(١) أحسن التقاسيم ، للمقدسي ، ص ٢٤٣ .

لا « العجمية » . وإذن فإذا سلمنا أن البربر في الأندلس لم يتمسكوا طويلا بلغتهم نرى أن هناك ظاهرة فريدة في اللغة بالأندلس إذ هي تقوم على ثلاثة مستويات : لغة عجمية فيها قليل من الألفاظ العربية ، لغة عربية هي أداة الكتابة والانشاء ، ولغة دارجة عامية معظم ألفاظها عربي وقد دخلتها بعض الألفاظ العجمية ، وهذه الثالثة هي التي كانت لغة الحديث اليومي ، وهي التي تتمثل من بعد في الأزجال الأندلسية . وهذا لا يعني أن العربي لم يكن يحسن « اللغة العجمية » أو أن المولّد ذا اللغة العجمية لم يكن يستطيع الكتابة باللغة العربية . ولكن لا بد من أن نفترض وجود عامية قريبة الشبه بالعربية وإلّا لم نفهم ما يرد في المصادر مصدراً بمثل : يقول العامة كذا ومن أمثال العامة كذا ـ مما هو عربي عامي دارج ، وبه أيضاً نفهم كيف يمكن أن تكون الأزجال الأندلسية شيئاً آخر غير الذي تعنيه العجمية » .[1]

وما تحدث به ابن سعيد الأندلسي من ان : « أهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لأنهم إمّا عرب أو متعربون » .[2] يؤكد شيوع العربية بين أهل الأندلس كافة .

وفي الوقت نفسه لا ينبغي لنا ان ننسى رطانة البربر التي كانت تُسمع بينهم بين الحين والآخر . فهم وإن تعربوا باتخاذهم اللغة العربية لساناً لهم ، يدفعهم إلى ذلك حسن إسلامهم ، لم ينسوا لغتهم الأم إطلاقا .[3] « وإذا كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة البربرية ، فقد كان تفاهمهم مع زملائهم الفاتحين بالعربية أمراً طبيعياً ، ويقول بروفنسال : « ومنذ القرن التاسع لم يعد أحد يتكلم باللغة البربرية بالأندلس » إلّا في نطاق بعض بلاطات ملوك الطوائف المنتمين إلى أصل بربري

---

(١) الحركة اللغوية في الأندلس ، ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص ١٥٧ .

(٣) انظر الذيل والتكملة ، تحقيق محمد بن شريفة ، ص ٢٧٨ .

وانظر أيضاً ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ص ٢٧٠ .

كبني زيرى الصنهاجيين بغرناطة ، وسوف تعود اللغة البربرية إلى الظهور في إسبانيا عند قدوم اللمتونيين (المرابطين) » .[١]

وإلى جانب العربية والعجمية والبربرية ، كانت العبرية أيضاً . وقد مرّ بنا ان مفكري اليهود جاهدوا كثيراً في سبيل إحياء العبرية بين الشبان من أبناء ملتهم الذين انصرفوا بكل حماس إلى تعلم العربية . وقد سعى يهودا الجزيري نحو محاولة فاشلة عندما عزم على ترجمة مقامات الحريري إلى اللغة العبرية .

وفي شمال إسبانيا كانت تُسمع لغة أخرى غير اللغة اللطينية وهي اللغة « الباسكية » فقد ذكر صاحب الروض المعطار ان بنبلونة ، وهي مدينة أندلسية « بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً ، أهلها فقراء جاعة لصوص ، وأكثرهم متكلمون بالبشكية لا يفهمون . . »[٢] .

وكذلك وُجدت في غربي إسبانيا اللغة « البرتغالية » . وهي اليوم لغة دولة البرتغال التي انفصلت عن إسبانيا .

وتبقى قضية هامة لا بد من ذكرها وهي وجود المترجمين . فقد جاء في الروض المعطار في أثناء الحديث عن حصار الفنش (الفونسو) لحصن الكرس من عمل جيّان ، وكان يقوم عليه القائد أبو جعفر بن فرج ، أنه لما اضطر أبو جعفر لتسليم الحصن خرج وقد تعجب الفنش من طوله وعظم خلقته ، وأنكر عليه كونه سلم عليه بالإشارة ولم يقبل يده ، وتكلم معه الترجمان في ذلك ، فقال : لو كنت أخدمه أكان يجوز أن أقبّل يد خصمه ؟ فذكر ذلك للفنش فقال : لا يجوز ! وضحك الفنش وقال : مثل هذا ينبغي أن تكون الرجال ! وأحسن إليه وأعطاه فرسه وسلاحه . .[٣] .

---

(١) الحركة اللغوية في الأندلس ، ص ٢٩ .

(٢) الروض المعطار ، ص ٥٦ .

(٣) الروض المعطار ، ص ١٦٧ .

وقد كان نصارى قرطبة يجيدون جميع اللهجات المتفرعة عن لغتهم الأم . فقد وفد في سنة ٣٦٠هـ (٩٧١م) « حاكم امارة برشلونة على الحكم المستنصر ، فجلس الحكم لاستقبال الوفد يوم السبت لأربع خلون من شهر رمضان من العام المذكور وتوجه في رسل بلير شنير : جمهور بن الشيخ في قطيع من الجند ومعه النفر من كبار النصارى بقرطبة المترجمين فقاموا بالترجمة عنه إليهم وعنهم إليه . وفي موضع آخر ذكر ابن حيان هؤلاء المترجمين وفيهم أصبغ ابن نبيل قاضي نصارى قرطبة واسقفهم عيسى بن منصور وقومسهم معاوية بن لب ومطران إشبيلية عبيد الله بن قاسم . كذلك قام هؤلاء المترجمون بدور الترجمة عندما تلقى الحكم رسل حلويرة عمّة الطاغية أمير جليقية وفي هذه المرة فقد القاضي أصبغ بن عبد الله بن نبيل ما كان له من حظوة لدى الخليفة لأنه لم يحجم عن أن ينقل عن الرسل كلاماً فيه بعض الجفاء في مخاطبة الخليفة وأمر بصرف الرسل وتوبيخهم وأقصى ابن أصبغ عن قضاء النصارى . وهذه المواقف جميعاً تدلنا على أن بعض نصارى قرطبة كانوا يحسنون الترجمة عن وفود قشتالة وبرشلونة وجليقية وإذا لم يكن هؤلاء التراجمة من المتوسعين في اللغات كان من الحق ان نفترض ان معرفتهم بهذه اللهجات كانت ناشئة عن قربها من العجمية « الأم » . ويجب أن نلاحظ جلال المناصب التي كان يحتلها هؤلاء المترجمون بحيث لا نفترض أنهم كانوا يتخذون من الترجمة مهمة خاصة ، ثم أن اختيارهم من نصارى قرطبة دليل على أن اتقان « العجمية الأم » لم يكن أمراً ميسراً لغيرهم من المسلمين ، ولو لم يكن الأمر مقاماً رسمياً خليفياً لاستطعنا القول أيضاً أن الحكم وبطانته لم يكونوا يعرفون من « العجمية » ما يمكنهم من التفاهم المباشر مع هؤلاء الرسل الأجانب ».[1]

والأمر البيِّن ، أن طوائف الأندلس كانت تعيش أشبه ما يكون بنظام المعسكرات أو الأحياء ، حيث تتخذ كل طائفة ضاحية معينة تنفرد بسكناها ، فلا تتم لهم المخالطة إلّا عن طريق مزاولتهم لمصالحهم العامة ، أو في بعض

---

(١) الحركة اللغوية في الأندلس ، ص ٣٨ .

المناسبات كالأعياد مثلاً . . فالبربر كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم ، كما عرفنا عن ضاحية الربض ، وكذلك كان حال اليهود والنصارى . أما في الأرياف والبوادي ، فنلاحظ أن بعضها كان للنصارى فقط . فقد ذكر صاحب الروض المعطار أن : « فنيانة ، قرية بقرب وادي آش من الأندلس جامعة خطيرة ، كثيرة الكروم والتوت والبساتين وضروب الثمار ، وكان بها طرز الديباج والمياه تطرد في جميع جناتها ، وأهلها عجم ذوو يسار » .(١)

« وبذة : مدينة بالأندلس وهي حصن على واد بقرب إقليش ، وعلى وادي وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى .(٢)

« وشقة : مدينة بالأندلس لها سوران من حجر ، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً ، ووشقة مدينة حسنة . . . فليس بوشقة من أهلها المتأصلين رجل ينتمي إلى أصل صحيح من العرب » .(٣)

وهكذا يتأكد لنا من كل ما تقدم أن عامية العربية قد طغت على غيرها من اللغات التي عرفتها البيئة الأندلسية . فهي إذن اللغة المحكية الجارية على الألسن بين مختلف الطوائف ، وأن الرومانثية وغيرها لم تستطع أن تنافس اللغة العربية التي أثبتت وجودها في مختلف الميادين .

والله سبحانه من وراء القصد ؟

---

(١) الروض المعطار ، ص ١٤٣ .

(٢) الروض المعطار ، ص ١٩٤ .

(٣) الروض المعطار ، ص ١٩٥ .

مصـــادر البحـــث

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب ، حققه وقدم له محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي مطبعة بريل ـ ليدن ١٩٠٩ .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال بيروت ١٩٨٠ .
- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان .
- تاريخ الفكر الأندلسي ، أنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ .
- الجديد في فن التوشيح ، الدكتور عدنان صالح مصطفى ، دار الثقافة ، قطر ـ الدوحة ١٩٨٦ .
- الحركة اللغوية في الأندلس ، البير حبيب مطلق ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت .
- ديوان ابن قزمان ، تحقيق ، ف. كورينطي ، المعهد الاسباني العربي ـ مدريد ١٩٨٠ .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ، للمراكشي ، تحقيق محمد بن شريفة ، القسم الأول ، دار الثقافة ـ بيروت .
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، لابن عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق ا. لافي بروفنصال القاهرة ١٩٣٧ .
- الزجل في الأندلس ، الدكتور عبد العزيز الأهواني ، القاهرة ١٩٥٧ .
- العاطل الحالي والمرخص الغالي ، صفي الدين الحلي ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .

- في التاريخ العباسي والأندلسي ، الدكتور أحمد مختار العبادي ، مطبعة النهضة العربية - بيروت ١٩٧١ .

- فجر الأندلس ، الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٩ .

- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، الدكتور عبد العزيز مطر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٨١ .

- مجلة معهد المخطوطات العربية ، مقال الدكتور عبد العزيز الأهواني ، ألفاظ مغربية ، المجلد الثالث - الجزء الأول شوال ١٣٧٦ ، مايو ١٩٥٧ .

- نفح الطيب ، للمقريّ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ .

المصادر الأجنبية

— Entre monjes y musulmanes, Espana, 1978, Vicente Cantarino.

— Espana, un enigma historico, Buenos Aires, 1962, C. Sanchez Albornoz.

— Historia de la literatura arabigo - espanole, Madrid 1945, Angel Gonzalez palencia.

— Historia critica de le literatura espanola Madrid. 1865 jose Amador de los Rios.

— Historia de la Espana Musulmanes, Barcelona 1945, Angel Gonzalez palencia.

— Introduccion a la historia de Espana, Barcelona, 1972, Antonio Ubieto.

— La civilizacion hispano-arabe, Titus Burokherdt. version espanole de Rosa Kuhre Barbat.

— Sobre los iberos y su lengua, Madrid 1952. M. Gomez Moreno.